الأدب الإسلامي
والإتيكيت في العصر الحديث

د/ عائشة مدحت أحمد الحداد

مدرس الدراسات الإسلامية بكلية الآداب

قسم اللغة العربية وآدابها- جامعة الإسكندرية

الأدب الإسلامي والإتيكيت في العصر الحديث

عائشة مدحت أحمد الحداد

قسم اللغة العربية وآدابها - بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية- مصر.

البريد الإلكتروني: aaisha.elhaddad@alexu.edu.eg

ملخص البحث: كثيرًا ما نرى اهتمام الغرب بالإتيكيت الحديث، في حين أننا لا نرى اهتمام العرب بهذا الأمر على الرغم من وجود الأدب الإسلامي منذ نزول القرآن على الرسول ﷺ. هذا إلى جانب وجود الآداب وتوافرها في الرسالات السابقة للإسلام، فلم يكن الأمر حديثًا مع الإتيكيت الحديث. هذا إلى جانب وجود كثير من أوجه التشابه بين الآداب الدينية والإتيكيت الحديث، وهناك قليل من الاختلاف بينهما، ولكن الملاحظ أن الآداب الدينية أوسع وأكثر شمولاً من الإتيكيت. فلم يترك الأدب الإسلامي صغيرة ولا كبيرة تمس التعامل مع الله والرسول أو مع البشر أو حتى مع الحيوان إلا وتكلم عنها.

الكلمات المفتاحية: الذوق – الإتيكيت– حسن السلوك– فن التعامل– الأخلاق – الأدب الإسلامي.

Islamic literature and etiquette in the modern era

Aisha Medhat Ahmed Al-Haddad
Department of Arabic Language and Literature - Faculty of Arts - Alexandria University - Egypt.
Email: aaisha.elhaddad@alexu.edu.eg

Abstract: We often see the interest of the West in modern etiquette, while we do not see the interest of the Arabs in this matter despite the presence of Islamic etiquette since the revelation of the Qur'an to prophet Mohamed. In addition to the presence and availability of morals in previous messages of Islam, the matter was not modern with modern etiquette. This is in addition to the existence of many similarities between religious etiquette and modern etiquette, and there is little difference between them, but it is noticed that religious etiquette is broader and more comprehensive than etiquette. Islamic etiquette did not leave small or large that touches dealing with God and, prophet Mohamed or with humans, or even with animals, without speaking about it.

Key words: taste - etiquette - good behavior - the art of dealing - ethics - Islamic literature.

مقدمة

الحمد لله العلي الكريم، الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، الذي أرسله كافة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد..

فمن الممكن ألا تكون كلمة الأدب أو الذوق قد ذكرت في أي آية قرآنية أو حديث نبوي شريف، لكن الجدير بالذكر أن كليهما لم يخْلُ من الكلام عن الأدب في كل أمور الحياة؛ مع الله ومع الرسول، وفي المعاملات الاجتماعية، وفي البيت، وفي المأكل والملبس والمشرب، وفي كل مكان، فلا يمكن أن نقول إن الدين الإسلامي قد فاته الكلام عن الأدب، بل إن الإتيكيت الحديث الذي يتكلم عنه الغرب ويعتقدون أنهم هم أصحابه قد سبقهم إليه الدين الإسلامي الحنيف. وصحيح أن الذوق قد عُرف قديمًا منذ خُلق الإنسان، لكن الدين الإسلامي جاء ليهذب السلوك أكثر. وسَمِّه إن شئت أدبًا أو ذوقًا أو سلوكًا أو إتيكيت أو أي شيء آخر.

وجدير بالذكر أن المقصود بالأدب هنا هو خصال الخير المتوفرة في الإنسان، أو الذوق أو حسن تصرف الفرد مع الله والرسول ﷺ والبشر والحيوان، وليس المقصود الأدب بفرعيه الشعر والنثر كما يتبادر إلى الذهن عند سماع كلمة الأدب.

فالأدب والذوق بالطبع موجودان في الرسالات التي سبقت الإسلام، ولم يكن الإسلام هو أول من تكلم عن هذه الآداب لكنه توسع فيها أكثر، حتى لم يعد هناك احتياج إلى اللجوء إلى أي شيء آخر للحصول على مزيد كلام عن الأدب – إلا ما يخص الأمور التي ظهرت حديثا ولم تكن موجودة قديمًا. فلم يترك الإسلام صغيرة ولا كبيرة تخص الأدب إلا وتكلم فيها واهتم بها.

فقد تكلم الإسلام عن آداب الاستيقاظ، وآداب قضاء الحاجة، وآداب اللباس، وآداب المشي، وآداب السلام، وآداب اللقاء، وآداب الاستئذان، وآداب

المجلس، وآداب الكلام، وآداب الضيافة، وآداب الطعام، وآداب الشراب، والأدب مع الوالدين، وآداب صلة الأرحام، والأدب مع الجيران، وآداب الأخوة، وآداب عيادة المريض، وآداب الجنائز، وآداب التعزية، وآداب زيارة القبور، وآداب النكاح، وآداب العطاس، وآداب الهدية، وآداب السفر، وآداب النوم ... إلخ

وهذه الآداب قد اشتركت فيها كل الرسالات السماوية بما فيها الإسلام، لكن كان للإسلام آداب خاصة مثل آداب الوضوء، والصلاة، والصيام، والزكاة، والصدقات وغيرها من الآداب التي لن أتكلم عنها في هذا البحث لأنها ليست ضمن موضوعي، بل لها كتب وأبحاث أخرى.

وبعد القرآن والحديث تكلم العلماء القدماء عن الأدب الإسلامي مستلهمين إياه من الأصلين الأولين وهما القرآن والحديث، والملاحظ أن الكلمة التي كانت مستخدمة قديمًا عند العلماء المسلمين هي كلمة الآداب، ولكن أيًّا ما كان الأمر فلا فرق بين الآداب قديمًا والذوق حديثًا، فكلاهما يحمل المعنى نفسه.

وهناك كثير من الكتب التي أُلّفت عن الآداب الإسلامية منها: التاج في أخلاق الملوك للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، مكارم الأخلاق ومعاليها للخرائطي (ت ٣٢٧هـ)، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان (ت ٣٥٤هـ)، أخلاق العلماء للآجري (ت ٣٦٠هـ)، الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦هـ)، أدب الدين والدنيا للماوردي (ت ٤٥٠هـ)، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ). الجامع في آداب الشيخ والسامع للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ). الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، منهاج القاصدين لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، فضائل الأعمال لعبد الغني المقدسي (ت ٦٠٠هـ)، مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ)، رياض الصالحين للنووي (ت ٦٧٦هـ)، منظومة الآداب لابن عبد القوي (ت

٦٩٩هـ)، الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي (ت ٧٦٣هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي (ت ٨٢١هـ) فيه كلام عن الذوق والأدب. وغيرها كثير من الكتب الأخرى التي تكلمت عن الأدب الإسلامي.

وعلى الرغم من اهتمام الإسلام بهذه الناحية في قرآنه وحديثه وكلام علمائه، فإننا نشاهد اليوم الاهتمام البالغ بما يسمى الإتيكيت حتى إنه يدرس في المدارس والجامعات، وتُعقد له دورات خاصة في الغرب قبل الشرق، ولا نجد هذا الاهتمام بالأدب الإسلامي. فأولى بنا نحن المسلمين أن نهتم بالأدب وبتطبيقه في كل أمور حياتنا، إذ إن الآداب تعد من لباب الشريعة ومقاصدها، فليس معنى تسميتها آدابًا أنها على طرف الحياة والسلوك، يُخير الإنسان في فعلها وتركها أو الأولى فعلها.(١)

ولنا أن نتساءل مع ما نراه من الاهتمام بالإتيكيت الحديث، هل تكلمت كتب الإتيكيت في العصر الحديث عن طرق التعامل مع الله تعالى، والآداب الواجب اتباعها في التعامل مع الله؟ إننا نجد أمثال هذه الكتب قد اهتمت اهتمامًا بالغًا بالتعامل مع البشر، لكنها لم تهتم بالكلام عن التعامل مع الله تعالى ولا مع رسله.

وهل تناولت كتب الإتيكيت كل ما تناولته الرسالات السماوية في كتبها؟ بالطبع لا.

هذا بالإضافة إلى اختلاف بعض قواعد الإتيكيت بين كل بلد وآخر، واختلافها بين زمن وآخر، فليس الإتيكيت عامًّا على البلدان كلها أو الأزمان كلها، على عكس الأدب الإسلامي الذي يصلح لكل زمان ومكان.

وعلى صعيد آخر فلو نظرنا إلى البلاد العربية والإسلامية لما وجدناها تهتم بالإتيكيت أو الأدب، بل إن كثيرين منهم يهملون هذه النواحي ظنًّا منهم أنها تؤدَّى في أماكن معينة أو في مناسبات معينة.

---

(١) انظر: من أدب الإسلام، عبد الفتاح أبو غدة، ص٦.

وسوف أعرض في هذا البحث لمفهومي الأدب والإتيكيت وأوجه التشابه والاختلاف بينهما.

معنى كلمة أدب

أما عن المعنى اللغوي فقال ابن منظور: "سمي أدبًا لأنه يأدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح. وأصل الأدب الدعاء، ومنه قيل للصنيع يدعى إليه الناس: مدعاة ومأدبة".(١)

والمعنى في الاصطلاح: "هو اجتماع خصال الخير في العبد، ومنه المأدبة وهي الطعام الذي يجتمع عليه الناس.

وعلم الأدب: هو علم إصلاح اللسان والخطاب، وإصابة مواقعه، وتحسين ألفاظه، وصيانته عن الخطأ والخلل.

والأدب ثلاثة أنواع: أدب مع الله سبحانه. وأدب مع رسوله ﷺ وشرعه. وأدب مع خلقه".(٢)

"وحقيقة الأدب استعمال الخلق الجميل، ولهذا كان الأدب استخراج ما في الطبيعة من الكمال من القوة إلى الفعل".(٣)

وقد سبقت الإشارة إلى أن كلمة الأدب لم تذكر في القرآن ولكنها ذكرت في الكتب السابقة للقرآن، بيد أن معنى هذه الكلمة قد وُجد في القرآن بكثرة وفي أكثر من سورة، فقد أوضح الإسلام بقرآنه وحديثه كل الآداب التي يمكن أن تقابلنا في حياتنا اليومية، ولم يغفل ذكر أي شيء منها.

معنى كلمة إتيكيت

وضع الغرب كلمة مشابهة لكلمة الأدب فكانت كلمة الإتيكيت؛ وهي كلمة فرنسية قديمة تعني البطاقة أو التذكرة، وكانت تُمنح للمشاركين في

---

(١) معجم لسان العرب، ابن منظور، مادة (أ د ب)، ص٤٣.
(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، ج٢، ص٣٥٥، ٣٥٦.
(٣) السابق، ج٢، ص٣٦١.

احتفال عام، وكان موضحًا على كل تذكرة التعليمات الخاصة بهذا الحفل، وهكذا أصبحت الكلمة تعني القواعد السليمة لحسن تصرف الفرد أمام الناس، أي الآداب الاجتماعية التي يلتزم بها الناس في أثناء تعاملاتهم معًا، في مختلف المناسبات، من دون أن يظهر عليهم التكلف والجمود. (١)

والإتيكيت بالدرجة الأولى يشمل مجموعة القواعد المكتوبة وغير المكتوبة التي تجمع بين الرقي والبساطة والجمال، وتنظم سلوك الفرد في مختلف المناسبات، وتدل على حسن الخلق والصفات الحميدة.(٢)

وسواء أعُرّف الإتيكيت بأنه الأدب، أم بأنه الذوق، أم بأنه السلوك السليم، فليعبَّر عنه بأي تعبير عربي، ليس هذا هو المهم، بل المهم هو وجود كل ما يتكلم عنه الإتيكيت في الرسالات السماوية من قبله وبصورة أكثر شمولاً وأصالة خاصة في الإسلام خاتم هذه الرسالات.

فعلى الرغم مما يقال إن الشيء حينما يظهر في البداية يكون بدائيًا بسيطًا ثم يتطور مع الزمن، فإن الأمر قد اختلف مع الأدب، فنجد أن الإسلام قد تكلم عن الآداب العامة بصورة أشمل من الإتيكيت، إلا ما ظهر من أمور لم تكن موجودة قديمًا ولم تظهر إلا في العصر الحديث.

وإذا افترضنا أن الغرب لم يطّلعوا على الدين الإسلامي وآدابه الكثيرة الموجودة في القرآن والحديث وأفعال الصحابة، فإن هؤلاء الغرب بالتأكيد منهم من اطّلع على كتب الديانة اليهودية أو النصرانية، لكن الملاحظ أن الكلام عن الإتيكيت في العصر الحديث، تأخر كثيرًا ولم يأتِ إلا في عصور متأخرة عن نزول التوراة والإنجيل.

فهل معنى ذلك أن الغرب لم يُفيدوا من تلك الأديان أو أن هناك أمرًا آخر؟

---

(١) انظر: الإتيكيت وفن التعامل مع الآخرين، د/ نادية الحفني، ص٢٦، آداب المراسم والبروتوكول، د/ صفوت العالم، ص٧، دبلوماسية الإتيكيت والمراسم في العمل السياحي، د/ أحمد الجلاد، ص١٢، ١٤.

(٢) انظر: الإتيكيت وفن التعامل مع الآخرين، د/ نادية الحفني، ص٢٦.

ويمكن إجمال قواعد الإتيكيت فيما يأتي:

١- آداب الاستقبال والتقديم والتعارف والمصافحة

٢- آداب الزيارة وتقديم بطاقات الزيارة

٣- آداب الحديث والإصغاء

٤- آداب توجيه الدعوات والمراسلات مثل (رسائل العزاء – رسائل التهاني)

٥- المظهر الملائم (الزي) في المناسبات والمواقف المختلفة (الرسمية وغير الرسمية)

٦- آداب السلوك في الولائم والحفلات والمطاعم واستخدام أدوات المائدة

٧- آداب الأماكن العامة[١]

ألم يكن الإسلام قد تكلم عن هذه القواعد وناقشها من خلال آيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول ﷺ؟ وإذا نظرنا إلى الآداب والسلوكيات التي تكلم عنها الإسلام وجدناها أكثر مما تكلم عنه الإتيكيت، فمما تكلم عنه الإسلام: ذوقيات المظهر العام، والالتقاء، والحديث، والمجاملة الشرعية، والاستئذان والزيارة، والمعايشة والمجالسة والمخالطة، والمهاتفة، وإنزال الناس منازلهم، والمناسبات، والموائد، والأسواق والطريق، والمراسلة، والأعراف... وغيرها.

والجدير بالذكر أنه يمكن كسر الإتيكيت إذا تعارض مع الدين، أو العادات، أو التقاليد، أو الصحة.[٢] فهو ليس قرآنًا حتى لا يمكن كسره، كما أنه ليس قواعد جامدة، بل إن لكل بلد إتيكيت قد يختلف عن إتيكيت بلد آخر، وكذلك لكل عصر إتيكيت خاص به. لكن مزية الأدب الإسلامي في أنه جاء مناسبًا لكل زمان ومكان.

(١) الإتيكيت وفن التعامل مع الآخرين، د/ نادية الحفني، ص٢٥.

(٢) الإتيكيت وفن التعامع مع الآخرين، د/ نادية الحفني، ص٢٧.

فكلمة الآداب أوسع من كلمة الإتيكيت.

ولكن الجدير بالذكر أنه يمكن بأيسر الطرق الجمع بين الآداب الإسلامية والدينية عامة من مختلف الرسائل السماوية، وبين الإتيكيت الحديث؛ لأننا لن نجد كبير اختلاف بينهما، فكلهم يدعون إلى الذوق وحسن السلوك في التعامل مع الناس. لكن هناك بعض الناس يميلون إلى الأخذ بما قالته الأديان، وهناك من يميلون إلى الأخذ بكل ما هو جديد تاركين القديم جانبًا حتى إن كان من صميم الدين.

ونحن لا يمكن أن نجزم بأن غير العرب قد تأثروا بالرسول ﷺ فيما يخص أمور الإتيكيت الخاصة بهم، لكن جاء الإتيكيت الموجود عندهم مشابهًا تمامًا لما جاء في الإسلام وفي الرسالات السماوية الأخرى التي قد يكونون اطّلعوا عليها، وهذا دليل على أن الآداب متفق عليها أو على كثير منها.

الأدب والذوق في الرسالات السابقة للإسلام

بالطبع لا يختلف الذوق أو الأدب في الرسالات السابقة عما هو عليه في الإسلام، فكل الرسالات والكتب السماوية من عند الله سبحانه وتعالى، وطبعي أن تكون آدابها متماثلة. فالأدب لا يتخلف من رسالة سماوية إلى أخرى.

ولو نظرنا في الكتاب المقدس لوجدنا آدابًا مشابهة لآداب الإسلام، ومن هذه الآداب التي وردت في الكتاب المقدس: "الكذب عار قبيح في الإنسان وهو لا يزال في أفواه فاقدي الأدب".(١)

"من قلة الأدب التسمع على الباب، والفطن يستثقل ذلك الهوان".(٢)

"تمسك بالأدب لا ترخه. احفظه فإنه هو حياتك".(٣)

---

(١) سفر يشوع: ٢٠/ ٢٦. ونظيرها في القرآن "يأيها الذين ءامنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" [التوبة/ ١١٩].

(٢) سفر يشوع: ٢١/ ٢٧ ونظيرها: "ولا تجسسوا" [الحجرات/ ١٢].

(٣) سفر الأمثال: ٤/ ١٣.

"وَجِّه قلبك إلى الأدب، وأذنيك إلى كلمات المعرفة".(١)

"اقتن الحق ولا تبعه، والحكمة والأدب والفهم".(٢)

والملاحظ من الأمثلة السابقة ورود كلمة الأدب أكثر من مرة في الكتاب المقدس، ولم ترد هذه الكلمة بلفظها في القرآن الكريم، لكن طبعًا وجد في القرآن الكريم كثير من الآداب كما سيتضح بعد قليل.

وهذه وصايا مهمة وردت في الكتاب المقدس، ووردت في القرآن الكريم والحديث الشريف وهذه الوصايا لا يختلف عليها، أحد ولا تتغير مع تغير الزمن.

الأدب عند الأنبياء السابقين لمحمد ﷺ

لم تكن الكتب المقدسة فقط هي التي اشتملت على آداب سامية على أي فرد أن يُطبقها، ولكننا وجدنا بالطبع أن الأنبياء كلهم قد تحلّوا بالذوق الرفيع والأدب الجم في التعامل مع الله أولاً ثم مع البشر ثانيًا.

فعند إبراهيم عليه السلام – على سبيل المثال – نلحظ الذوق والأدب الجم في التعامل مع الله تعالى حينما دعاه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ. رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ۖ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ. رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ. رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۚ

(١) الأمثال: ٢٣/ ١٢، نظيرها: "وقل رب زدني علما" [طه/ ١١٤].

(٢) الأمثال: ٢٣/ ٢٣.

رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ. رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم/ ٣٥ – ٤١].

فقد دعا إبراهيم عليه السلام ربه دعاء يمتلئ أدبًا وإيمانًا وحلمًا وذوقًا ورقة ورحمة ببلده وبوالديه وبأهله وبذريته وبجميع المؤمنين وغير المؤمنين. جاء الدعاء عفيفًا لطيفًا والملاحظ أنه لم يطلب لنفسه إلا شيئًا واحدًا هو الثبات على الإيمان.(١)

وكذلك نلحظ أدب يعقوب عليه السلام مع الله في قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف/ ١٨]، وقال أيضًا: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف/ ٨٣]، وقال كذلك: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف/ ٨٦]، فهو لم ييأس ولم يجزع بل ظل آملاً في الله تعالى أنه سيعيد له يوسف مرة أخرى.

وظهر ذوق المسيح عيسى عليه السلام في حواره مع رب العزة جل وعلا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة/ ١١٦] فقبل أن يجيب عن السؤال بدأ بالتنزيه والتقديس لرب العزة فقال "سبحانك".(٢)

أدب النبي محمد ﷺ

كان الرسول ﷺ مؤدبًا مع الله تعالى حتى إن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت إن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة:

(١) انظر: الإسلام والذوق العام، فؤاد شاكر، ص٧٥

(٢) انظر: الإسلام والذوق العام، ص١٠١.

لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا.(١) وفي ذلك دليل واضح على مدى تأدبه مع الله تعالى.

وقال المقداد بن الأسود الصحابي الجليل رضي الله عنه: "كنا نرفع للنبي ﷺ نصيبه [من اللبن]، فيجيء من الليل، فيسلم تسليمًا لا يوقظ نائمًا، ويسمع اليقظان".(٢) وهذا من فرط أدبه مع من يتعامل معهم، فلم يكن يريد أن يزعج أحدًا قط.

وكان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول "السلام عليكم السلام عليكم"، وذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذ ستور. (٣) حتى لا يكشف عورة البيت، وهكذا علمنا رسول الله أدب الزيارة.

كما كان رسول الله يراعي مشاعر من يتعامل معهم، ويُنزل الناس منازلهم، ومن الأمثلة على ذلك قصته مع أبي سفيان يوم فتح مكة لأنه كان يحب الفخر، فقال الرسول ﷺ: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن...".(٤)

كما راعى الرسول ﷺ نفسية المرأة والطفل الصغير في أثناء الصلاة فخفف الصلاة مرة لأنه سمع بكاء صبي عند النساء حتى يخفف على أمه.

هذا إلى جانب أدب الرسول في المواقف اليومية، فمثلاً كان الرسول ﷺ إذا صافح رجلاً لم يترك يده حتى يكون هو التارك ليد رسول الله.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر...": ٤٥٥٧، ٤٥٥٦، ٦١٠٦، ١٠٧٨، صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة: ٢٨١٩، ٢٨٢٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره: ٢٠٥٥.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان: ٥١٨٦.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة: ١٧٨٠، سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب ما جاء في خبر مكة: ٣٠٢٢.

الأدب في التعامل مع الله تعالى والرسول ﷺ والبشر

كما تكلم الإتيكيت الحديث عن قواعد لابد من توافرها في الشخص الذي يذهب إلى حفل ما ويقابل الرؤساء وغيرهم من الأشخاص المهمين، فقد كان للإسلام حظ وافر من الكلام عن الأدب مع رب العالمين ومع رسوله ﷺ، وهما أول من يتأدب الفرد في التعامل معهما، ليأتي الأدب بعد ذلك مع أقرانه من البشر.

وقد حفل القرآن الكريم بعدد من السور التي تناولت كثيرًا من الآداب الإسلامية المختلفة والمتنوعة، مثل سورة الإسراء والمؤمنون والنور والفرقان ولقمان والأحزاب والحجرات والمجادلة. وقد اشتملت هذه السور على آداب مختلفة؛ ففي سورة النور نجد بعضًا من الآداب الاجتماعية من دخول بيوت الغرباء والبيوت غير المسكونة، والاستئذان، وحفظ اللسان، والسلام وأهميته، وغض البصر وحفظ الفرج،(١) وفي سور الأحزاب والحجرات والمجادلة آداب التعامل مع الرسول ﷺ إلى جانب بعض الآداب الاجتماعية الأخرى، وفي سورة لقمان آداب التعامل مع الله سبحانه وتعالى والتعامل مع الوالدين، والأمر كذلك في سورة الإسراء جاء فيها آداب التعامل مع الله والتعامل مع الوالدين بالإضافة إلى بعض الآداب الاجتماعية الأخرى.

كما اشتمل الحديث النبوي الشريف على العديد من الآداب المختلفة في التعامل مع الله ومع الرسول ومع البشر وفي المعاملات المختلفة، وجاء الحديث بآدابه ليكمل ما تكلم عنه القرآن من آداب ليأتي الدين الإسلامي بأفضل ما يمكن أن يقال حول الآداب المختلفة.

وكما أوضحت في المقدمة أن كلمة الأدب لم تذكر في القرآن، لكن ورد كثير جدًّا من الآداب فيه وفي الحديث النبوي.

---

(١) انظر: الآداب الاجتماعية في سورة النور – دراسة موضوعية، د/ منهل يحيى إسماعيل، مجلة كلية العلوم الإسلامية العدد الثالث عشر: ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

ويأتي بعد القرآن والحديث كلام علماء الإسلام القدماء ليشرحوا ويوضحوا ما جاء في القرآن والحديث، وبالطبع كان معتمدهم الأول القرآن والحديث الشريف.

ليأتي بعد كل ما سبق الإتيكيت في العصر الحديث ليتكلم عما تكلم عنه الدين الإسلامي قبله بمئات السنين.

وسوف نرى في الصفحات الآتية بعضًا مما جاء من تلكم الآداب في الدين الإسلامي وفي الإتيكيت؛ ليتبين لنا ما أقول وهو أسبقية الدين الإسلامي وشموله عما جاء حديثًا.

الأدب مع الله تعالى ومع رسوله ﷺ:

لا يمكن أن يكون الفرد متأدبًا حتى يكون متأدبًا مع الله تعالى أولاً الذي أوجدنا، ومع رسوله ثانيًا الذي دَلَّنا عليه، ثم مع البشر المتعامل معهم على اختلافهم ثالثًا. ولكي يطلق على المسلم أنه مؤدب مع الله ومع الرسول ﷺ عليه أن يطيعهما حق الطاعة بامتثال أوامرهما والنهي عما نهيا عنه. كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۖ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، كذلك من ضمن الآداب مع الله تعالى الأدب مع الله في الدعاء كما قال الرسول ﷺ: "يستجاب لأحدكم ما لم يعجل، يقول دعوت فلم يستجب لي"(١) فالدعاء كما هو معروف من أهم ما يلجأ به العبد إلى الله ليحقق له ما يرجوه،

(١) البخاري، كتاب الدعوات، باب يستجاب للعبد ما لم يعجل: ٥٩٨١، صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل: ٢٧٣٥.

ولكن لهذا الدعاء آداب فيها عدم استعجال الله تعالى في إجابة هذا الدعاء، وعدم الدعاء بقطيعة الرحم أو ارتكاب إثم نهى الله تعالى عنه.

وأيضًا من ضمن الآداب المهمة مع الله أدب شكر النعمة، وقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨][(١)]، وقال تعالى أيضًا: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ/ ١٣].

ومن الآيات التي تناولت الأدب مع الرسول ﷺ قوله تعالى في سورة الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات/ ١]، فهذه آداب علّمها الله عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والتبجيل والإعظام، فقال: "يأيها الذين ءامنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله" أي: لا تسرعوا في الأشياء بين يديه، أي قبله، بل كونوا تبعًا له في جميع الأمور، أو لا تقطعوا الأمر دون الله ورسوله.[(٢)] وكان ذلك في زمن الرسول ﷺ بالطبع، والكلام لمن كانوا يعيشون معه من المؤمنين، ولكن يمكن أن يقال إن هذا الأمر لا يخص من عايشوا الرسول وحدهم، بل هو يعم كل المسلمين الذين جاءوا بعد عصر الرسول إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فعلى كل مسلم ألا يتعدى حدوده مع رسول الله، وألا يقول على الرسول ما لم

---

(١) وقد قال ديل كارنيجي ضمن ما تحدث عنه في كتابه فن التعامل مع الناس وضمن ما يقرره الإتيكيت الحديث: "احص نعم الله عليك بدلاً من أن تحصي متاعبك". فن التعامل مع الناس، ص١٤٥، ونسي أو لم يعرف قول الله تعالى: "وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها..."، لكن هي لفتة جيدة منه بتذكير الآخرين بإحصاء نعم الله عليهم بدلاً من التذمر وإرادتهم أن يحصلوا على ما في أيدي غيرهم مما ليس عندهم، ونسوا النعم الكثيرة الأخرى التي أنعم الله بها عليهم ولم يفكروا فيها.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ج٢١، ص٣٣٧، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٧، ص٣٦٤.

يقلـه، وألا يعصـي الله ورسـوله، وعليـه أن يتبـع سـنته ويـأتمر بمـا أمـر بـه وينتهي عما نهى عنه. كما قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ﴾ [الحشر/ ٧]، وكما قال أيضًا: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء/ ١١٥].

وقال تعالى أيضًا استكمالاً لما بدأه في سورة الحجرات عن الأدب مع الرسول ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات/ ٢] وهذا أدب ثان أدب الله به المؤمنين؛ ألا يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي وهم بين يديه ﷺ، ففيه وعظ ونهي عن هذا الفعل.(١)

وقوله تعالى أيضًا: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور/ ٦٣].

ومما كان الصحابة يفعلونه مع الرسول ﷺ تأدبًا أنهم كانوا يقرعون باب رسول الله ﷺ بالظافر، كما أنهم كانوا إذا دعوا إلى طعام مع رسول الله ﷺ لم يضعوا أيديهم حتى يضع الرسول يده، كما أخبر بذلك حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.(٢)

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ج٢١، ص٣٣٩، تفسير القرآن العظيم، ج٧، ص٣٦٥.

(٢) نص الحديث من صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما: "عن حذيفة بن اليمان قال: كنا إذا حضرنا مع النبي ﷺ طعامًا لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده": ٢٠١٧.

ويجب ألا ننسى آداب التعامل مع النفس كما ذكر سلمان – رضي الله عنه – ووافقه النبي ﷺ: "إن لربك عليك حقًّا ولنفسك عليك حقًّا ولأهلك عليك حقًّا فأعط كل ذي حق حقه".(١)

وشبيه بما سبق فيما يخص آداب التعامل مع النفس كلام ديل كارنجي الذي قال فيه: "اعرف نفسك وكن نفسك، ولا تحاول التشبه بغيرك"(٢) فإعطاء النفس حقها يكون بتقديرها وعدم تقليد الآخرين أو التشبه بهم.

الأدب في التعامل مع البشر

الأدب مع الخاصة:

حظي التعامل مع البشر في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بقدر كبير من الاهتمام، حتى يمكن أن يقال إن آداب التعامل مع البشر استغرقت في أحاديث الرسول أكثر مما استغرقته الأحاديث التي تكلمت عن آداب التعامل مع الله تعالى أو مع الرسول ﷺ. وهذا دليل على أهمية الأدب في التعامل مع الآخرين. وليس أدل على أهمية الأدب في التعامل مع البشر من حديث الرسول ﷺ: "فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه".(٣) فقد أوصى الرسول بعد الإيمان بالله واليوم الآخر مباشرة بضرورة التعامل بالحسنى مع الآخرين، فهذا هو السبيل لدخوله الجنة وبعده عن النار. فقد قرن الرسول هنا الإيمان بالله واليوم الآخر بضرورة التعامل بالحسنى مع الآخرين من أقرانه من البشر.

وأول من أوصانا الله تعالى بالأدب في التعامل معهما؛ الوالدان وقرن أهمية عبادة الله ببر الوالدين كما ورد في سورة الإسراء في قوله تعالى:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب صنع الطعام والتكلف للضيف: ٥٧٨٨، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر: ١١٥٩.

(٢) فن التعامل مع الناس، ديل كارنيجي، ص١٣٨.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء: ١٨٤٤.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء/ ٢٣]، وعبّر الله سبحانه وتعالى هنا باستخدام الفعل "قضى" بمعنى وصّى، وقال "ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين" مستخدمًا حرف العطف الواو ولم يستخدم الفاء التي للترتيب والتعقيب ولا غيرها من حروف الجر الأخرى لكن استخدم أم الباب الواو، فقرن بعبادته بر الوالدين، كما وصّى بعدم نهرهما وعبّر عن الإساءة إليهما بكلمة "أف" التي هي أخف كلمة يمكن أن تقال، فما كان أكبر منها فهو بالطبع مرفوض، وقيل إن أضعف حرف في اللغة العربية هو حرف الفاء، واستخدمه القرآن هنا للدلالة على أن أخف كلمة وأضعف كلمة مرفوض قولها للوالدين فما بالنا بما هو أكبر وأثقل.

كما وصى القرآن الكريم بالإحسان إلى الوالدين والأدب معهما في آيات أخرى كما في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان/ ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف/ ١٥]، وهذه الآيات توضح مدى تعب الوالدين خاصة الأم، لذلك لابد من الأدب في التعامل معهما، حتى لو لم يكونا مؤمنَين.

وبالطبع ذكر الرسول أحاديث كثيرة توضح أهمية بر الوالدين، منها؛ جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: "من أحق الناس بحسن صحابتي: قال أمك.

قال ثم من؟ قال: ثم أمك. قال ثم من؟ قال: ثم أمك. قال ثم من؟ قال: ثم أبوك".(١)

وقد أبصر أبو هريرة رجلين، فقال لأحدهما: ما هذا منك؟ فقال: أبي، فقال: "لا تسمّه باسمه، ولا تمش أمامه، ولا تجلس قبله".(٢)

كما أوصى الرسول بضرورة احترام الكبير والعطف على الصغير في قوله ﷺ: "ليس منا من لم يوقّر كبيرنا ويرحم صغيرنا".(٣)

وهذا أمر مهم تحدث عنه الإتيكيت الحديث فوصّى بألا ينادي الأصغر سنًّا الأكبر سنًّا باسمه. (٤)

كما اهتم الإسلام بضرورة الإحسان إلى الزوجة والتعامل معها بأسلوب حسن، وأوصى الرسول في غير ما حديث بمراعاة المرأة، ومما أوصى به: "كان النبي ﷺ يكره أن يأتي الرجل أهله طُروقا".(٥)

وقال ﷺ: "إذا دخلت ليلاً، فلا تدخل على أهلك، حتى تستحد المغيبة، وتمتشط الشعثة".(٦)

وعن جابر أن رسول الله ﷺ نهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً يتخونهم أو يلتمس عثراتهم.(٧).

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة: ٥٦٢٦، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به: ٢٥٤٨.

(٢) الأدب المفرد، البخاري، باب لا يسمي الرجل أباه ولا يجلس قبله ولا يمشي أمامه: ٤٤.

(٣) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان: ١٩١٩.

(4)Etiquette, Emily Post.p:68,69

(٥) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا يطرق أهله ليلاً إذا أطال الغيبة: ٤٩٤٥، ٤٩٤٦ سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الطروق: ٢٧٧٦.

(٦) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب طلب الولد: ٤٩٤٨.

(٧) صحيح مسلم: ٧١٥، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: ٤١٨٢.

وقال ﷺ: "إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً".(١)

فقد نهى الرسول عن إتيان الرجل بيته ليلاً وكأنه يتخوّن المرأة، وحتى لا يتلمس عثرات المرأة، أو كما قال الرسول حتى تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة. فقد أوضح الرسول سبب نهيه عن ذلك الأمر.

هذا بالإضافة إلى ضرورة السلام على أهل البيت عند دخول البيت كما قال الرسول ﷺلأنس: "يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم، يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك".(٢)

كما وصى الرسول بالسلام عند دخول المنزل، لأن في السلام بركة على الرجل وعلى أهل بيته.

هذا بالإضافة إلى توصية الرسول بالنساء خيرًا كما قال: "استوصوا بالنساء خيرًا"، وفي ذلك دلالة على اهتمام الإسلام بالمرأة ومراعاة حالها، وعدم افترائه على المرأة كما يدعي كثيرون.

وهناك أدب آخر من الآداب التي وصى بها القرآن وهو أحد آداب المنزل؛ أدب استئذان الأطفال كبار السن قبل الدخول إلى غرفهم، وذلك ورد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ۚ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ۚ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور/ ٥٨]، فنرى الإسلام تحدث عن أمور لم يتحدث عنها الإتيكيت الحديث، ومنها استئذان الأطفال ومن ملكت الأيمان.

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا يطرق أهله ليلاً إذا أطال الغيبة: ٤٩٤٦.
(٢) سنن الترمذي: ٢٦٩٨.

هذا إلى جانب اهتمام الإسلام وحرصه على الأرحام، فقد قال الله تعالى لنبيه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء/ ٢١٤].

وقد سأل رجل حذيفة فقال: أستأذن على أمي؟ فقال: إن لم تستأذن عليها رأيت ما تكره.(١)

كما حكى ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح، قال: سألت ابن عباس فقلت: أستأذن على أختي؟ فقال: نعم، فأعدت فقلت: أختان في حجري، وأنا أموّنهما وأنفق عليهما؟ أستأذن عليهما؟ قال: نعم؟ أتحب أن تراهما عريانتين... (٢)

الأدب مع العامة:

وممن اهتم الإسلام بهما أيما اهتمام وأوصى بهما كثيرًا الضيف والجار، فقال رسول الله ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت".(٣)

وقال ﷺأيضًا: "ما زال يوصيني جبريل بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه".(٤)

وقال ﷺ: "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل ومن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه".(٥)

---

(١) الأدب المفرد، البخاري، باب يستأذن على أمه: ١٠٦٠.

(٢) الأدب المفرد، البخاري، باب يستأذن على أخته: ١٠٦٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره: ٥٦٧٢، الأدب المفرد، باب الوصاة بالجار: ١٠٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الوصاءة بالجار: ٥٦٦٨، الأدب المفرد، باب الوصاة بالجار: ١٠١.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه: ٥٦٧٠.

ومما قاله الإتيكيت عن التعامل مع الجار: "لا تتذمر من الجليد المتراكم على عتبة جارك قبل أن تزيل ما تراكم على عتبتك أولاً".[1]

وهذه إشارة جيدة إلى عدم التدخل في شئون أحد والاهتمام بشئون نفسي أولاً قبل الحكم على أي أحد. كما قال صلى الله عليه وسلم: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه".

والملاحظ أن الأدب الإسلامي قد اتفق معه الإتيكيت في بعض الأمور، وتوسع الأدب الإسلامي عن الإتيكيت في أمور أخرى.

(١) فن التعامل مع الناس، ديل كارنيجي، ص١٩.

أما عن آداب الزيارة فقد أفاض القرآن الكريم والحديث الشريف في الكلام عنها، ولننظر إلى بعض ما قيل عن هذه الآداب في القرآن الكريم، فمنها قوله تعالى في سورة النور: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ. لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [النور/ ٢٧ – ٢٩] فهذه آداب شرعية أدب الله بها عباده المؤمنين، وهي في الاستئذان، فقد أمر الله المؤمنين ألا يدخلوا بيوتًا غير بيوتهم حتى يستأنسوا، أي يستأذنوا قبل الدخول ويسلموا بعده.(١) وينبغي أن يستأذن ثلاثًا، فإن أذن له، وإلا انصرف. وهناك أحاديث كثيرة وردت في كتب الحديث تكلمت عن ضرورة الاستئذان ثلاثًا.(٢)

ولم يترك الرسول شيئًا يخص آداب الزيارة إلا عرّفنا إياه، فمما ورد عنه ﷺ فيما يخص آداب الزيارة أنه زار يومًا بيت أحد الصحابة، فطرق الباب في رفق وهو يقول السلام عليكم ورحمة الله، ثم انتظر ولم يسمع إجابة، فطرقه ثانية وهو يعيد السلام، ثم انتظر ولم يسمع إجابة، فطرق الثالثة مع تكرار السلام، فلما هم بالانصراف، إذا بالباب يفتح ويندفع خارجًا منه الصحابي فيحتضن النبي ﷺ ويقول: لقد سمعناك يا رسول الله من أول مرة، لكننا أردنا

(١) انظر: جامع البيان، الطبري، ج١٧، ص٢٣٩ – ٢٤٨، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٦، ص٣٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثًا: ٥٨٩٠، ٥٨٩١، صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب الاستئذان: ٢١٥٣، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان: ٥١٨٠.

أن نزداد بركة مع تكرار دعائك لنا بالسلام والرحمة.[١] ففي فعل الرسول هذا دلالة على أهمية الاستئذان قبل الدخول.

ومما ورد من آداب الزيارة في الحديث الشريف، قول الرسول ﷺ: إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فليرجع"[٢] فقد بدأ الاهتمام بالزيارة وآدابها قبل أن يدخل الزائر إلى البيت، فعلى من أتى بغير موعد مسبق لشخص ما أن يستأذن ثلاثًا وإلا فليرجع كما أخبر الرسول ﷺ، فربما كان في زيارته هذه إزعاج لأصحاب البيت.

وينبغي أن يكون الدق ثلاث مرات برفق، وأن يكون بين الدقتين زمن غير قليل.

وقال ﷺ كذلك: "من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم، فقد حل لهم أن يفقؤوا عينه"[٣].

وقال ﷺ أيضًا: "لا يحل لامرئ أن ينظر في جوف بيت امرئ حتى يستأذن، فإن نظر فقد دخل"، أي إن نظر قبل أن يستأذن، صار في حكم الداخل بلا استئذان، وهو محرّم عليه.[٤]

وعن سهل بن سعد قال: اطلع رجل من جُحْر في حُجَر النبي ﷺ، ومع النبي ﷺ مدرى يحك به رأسه، فقال: "لو أعلم أنك تنتظر، لطعنت به في عينك، إنما جعل الاستئذان من أجل البصر".[٥]

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان: ٥١٨٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب التسليم والاستئذان ثلاثًا: ٥٨٩١، صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب الاستئذان: ٢١٥٣.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب تحريم النظر في بيت غيره: ٢١٥٨.

(٤) سنن الترمذي، باب ما جاء في كراهية أن يخص الإمام نفسه بالدعاء: ٣٥٧.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب الاستئذان من أجل البصر: ٥٨٨٧، صحيح مسلم: كتاب الآداب، باب تحريم النظر في بيت غيره: ٢١٥٦.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "أتيت النبي ﷺ فدعوت. فقال النبي ﷺ: من هذا؟ قلت: أنا، قال: فخرج وهو يقول: أنا أنا".(١) فقد كره الرسول هذا الجواب، والصواب أن يقول الزائر اسمه.

وعن كلدة بن الحنبل قال: أتيت النبي ﷺ فدخلت عليه ولم أسلّم، فقال النبي ﷺ ارجع فقل السلام عليكم أأدخل".(٢) فالسلام بالطبع من آداب الزيارة.

وقال التابعي قتادة بن دعامة السدوسي: "ولا تقفن على باب قوم ردوك عن بابهم، فإن لك حاجات، ولهم أشغالاً، وإنهم أولى بالعذر".(٣) وهذا في حال إذا كانت الزيارة دون موعد مسبق.

ولم يختلف الأمر في الإتيكيت الحديث فقد وصى الإتيكيت بأنه من الضروري عدم زيارة المعارف بدون إخبارهم مسبقًا بموعد الزيارة ولو كانوا أصدقاء حميمين إلا في الحالات الضرورية حتى لا يجد الزائر نفسه في موقف حرج إذا تصادف ووجد لديهم ضيوفًا غرباء، أو وجدهم مشغولين بأمر مهم، وحتى لا يحدث اضطرابًا في مواعيد من يزورهم.(٤) وواضح من هذا الكلام أنه مأخوذ من الحديث الشريف وليس من شيء آخر.

ومن وصايا الإتيكيت الحديث كذلك فيما يخص آداب الزيارة أنه يكفي دق الجرس مرة واحدة، والانتظار قليلاً، فإذا لم يكن لدى أصحاب المنزل جرس، فلابد من الحرص على الطَّرق على الباب بهدوء حتى وإن كان الباب مفتوحًا. والحرص كذلك على عدم الدخول دون استئذان أصحاب البيت.

وإذا طُلب من الزائر الانتظار فلا بد من تقبل ذلك بصدر رحب، والحرص على تحية من يفتح الباب قبل أي شيء آخر، بما في ذلك تعريف

(١) صحيح مسلم، كتاب الآداب، باب كراهة قول المستأذن أنا، إذا قيل من هذا: ٢١٥٥.
(٢) سنن الترمذي، باب ما جاء في التسليم قبل الاستئذان: ٢٧١٠، السلسلة الصحيحة، الألباني: ٨١٨.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٦، ص٤٠.
(٤) آداب المراسم والبروتوكول، د/ محمد العالم، ص١٠٠

أهل المنزل بشخصه إذا كان مجهولاً لهم، أو إخبارهم بسبب زيارته عندما تتم من دون موعد.[١] ولكن الاختلاف هنا في أن الاستئذان في الأدب الإسلامي ثلاث مرات وفي الإتيكيت مرة واحدة.

ومما قيل أيضًا عن آداب الزيارة إنه لابد من تحديد موعد مسبق قبل الزيارة. كما أن الزيارة التي تكون بغير موعد مسبق لابد أن تكون قصيرة ومقتضبة وتؤدي المهمة الخاصة بها، ولابد من البعد عن الإطالة أو التأخير، وإذا اضطر الفرد إلى الزيارة من دون موعد ولم يسمح له صاحب البيت بالدخول فعليه أن ينصرف ولا يغضب. هذا إلى جانب الحرص على الحضور في الميعاد المتفق عليه.[٢]

هذا عن آداب الزيارة في الإسلام وحديثًا في الإتيكيت والأمر كما هو واضح لا يختلف، فالكلام عن الزيارة في الإسلام جاء كما جاء الكلام عن الزيارة في الإتيكيت حديثًا، وربما يكون ذلك للأخذ من معين واحد هو القرآن والحديث وربما لشيء آخر. ولكن من الممكن أن نقول إن آداب الزيارة في الإسلام كانت أشمل.

ما سبق كان عن الزيارة عامة، ولكن هناك زيارة معينة لها آداب خاصة إلى جانب آداب الزيارة العامة ألا وهي زيارة المريض أو لنقل عيادة المريض[٣]، فلهذه الزيارة آداب تتناسب مع وضع المريض، وقد تكلم عنها الرسول في أحاديثه، وذكر مما ذكر أن تكون الزيارة قصيرة، وأن يجلس

---

(١) آداب المراسم والبورتوكول، د/ محمد العالم، ص١٠٣.

(٢) الإتيكيت وفن التعامل مع الآخرين، د/ نادية الحفني، ص١١٠.

(٣) عيادة المريض من الأمور التي أمر بها الرسول ﷺ ضمن ما أمر به، وهذا دليل على أهميتها، وقد ذكرت هذه الأمور في حديث البراء فقال: "أمرنا النبي ﷺ بسبع ونهانا عن سبع: أمرنا بعيادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ونصر الضعيف، وعون المظلوم، وإفشاء السلام، وإبرار المقسم....". صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب إفشاء السلام: ٥٨٨١. والملاحظ أن الحديث بدأ بها، لأهميتها وضرورتها.

الزائر حيث يأمره المريض، وألا يقول كلامًا يؤذي المريض، بل عليه أن يخفف عن المريض ويراعي حالته النفسية السيئة.

وأوضح الرسول في أحد أحاديثه الثواب الجزيل لعائد المريض فقال ﷺ: "إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع"، وفي رواية أخرى: "من عاد مريضًا لم يزل في خرفة الجنة، قيل يا رسول الله: وما خُرفة الجنة؟ قال جناها".(١) وقال ﷺ أيضًا: "من عاد مريضًا خاض في الرحمة، حتى إذا قعد استقر فيها".(٢) فالرسول بذلك يرغِّب في عيادة المريض لأن ذلك يخفف عنه آلامه وأحزانه.

وتكلم العلماء القدماء أيضًا عن آداب عيادة المريض؛ ومما قالوه في هذا الشأن: قيل لأبي عبد الله أحمد بن حنبل فلان مريض وكان عند ارتفاع النهار في الصيف، فقال: "ليس هذا وقت عيادة".(٣)

ومما نظم في عيادة المريض:

أَدَبُ العيادَةِ أن تَكونَ مُسَلِّما وتكونَ في أثرِ الكلامِ مُوَدِّعَا

وقيل أيضًا:

حُسْنُ العيادةِ يومٌ بينَ يومينِ واقعد قليلاً كَمِثْلِ اللَّحْظِ بالعَينِ

لا تُبرمنَّ عليلاً في مُساءَلَةٍ يَكفيكَ من ذاكَ تسأَلُهُ بِحَرْفَيْنِ(٤)

فالكلام كله متشابه فيها يخص عيادة المريض، وهو ضرورة قصر الزيارة، وعدم سؤال المريض عن شيء يزعجه أو يزيده ألَمًا، وضرورة الدعاء له بالشفاء العاجل، والجلوس في المكان الذي يحدده صاحب المنزل.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض: ٢٥٦٨.

(٢) الأدب المفرد، البخاري، باب الحديث للمريض والعائد: ٥٢٢.

(٣) الآداب الشرعية، ابن مفلح، ج٢، ص٢٠٠. وانظر: فنون الذوقيات والإتيكيت الإسلامي، عبد الله بن حمود البوسعيدي، ص٥١.

(٤) من أدب الإسلام، عبد الفتاح أبو غدة، ص١٧.

وجاءت آداب زيارة المريض في الإتيكيت الحديث مماثلة لما مر بنا في الأدب الإسلامي، فقيل في آداب الزيارة[1]:

عدم إطالة مدة الزيارة

عدم تقبيل المريض أو الجلوس على سريره أو استخدام أغراضه الشخصية

مراعاة أن يكون الحديث مناسبًا ويبعث الأمل بالشفاء.

ولننظر إلى أدب آخر من تلك الآداب المهمة التي لابد من اتباعها وهو غض البصر، الذي وصى الله تعالى به نظرًا لأهميته؛ لأن النظر إلى الجنس الآخر يسبب ما لا يحمد عقباه، وعنه قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[النور/ ٣٠ – ٣١].

هاتان الآيتان توضحان مدى أهمية غض البصر للرجل والمرأة كليهما، وهذا أزكى للرجال كما عبر القرآن الكريم، لأنه يحافظ عليهم من الوقوع في الخطأ ويحافظ على المرأة أيضًا. ولو امتثل الرجال والنساء لهذا الأمر وهو غض البصر لسلم المجتمع من أمور كثيرة تُرتكب.

وقد كان العرب في الجاهية يتفاخرون بغض البصر كما قال عنترة:

(١) الإتيكيت وفن التعامل مع الآخرين، د/ نادية الحفني، ص١١٤.

وأَغُضُّ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِي جَارَتِي حتّى يُوارِي جارَتِي مَأْوَاهَا[1]

فالمسلمون بالطبع أولى بغض البصر من الجاهليين.

لكني لم أجد كلامًا في الإتيكيت عن هذا الموضوع وهو غض البصر، فهذا أمر مختص بالدين الإسلامي.

أمر آخر مهم تناوله الأدب الإسلامي بكل دقة واهتمام، وتناوله الإتيكيت الحديث أيضًا بكثير تفصيل وهو أدب تناول الطعام والشراب، ووردت أحاديث كثيرة للرسول عن هذا الأمر، فمما قاله ﷺ: "يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك".[2] فمن الآداب المتعلقة بالطعام ضرورة التسمية قبل البدء في الطعام، والأكل باليمين حتى لا يأكل معه الشيطان، وبالطبع الأكل مما يلي الفرد، حتى لا ينزعج منه الآخرون الذين يأكلون معه. هذه أمور وصى بها الرسول عند الطعام وهي من الأمور المهمة التي لو نفذها كل فرد لما انزعج أحد عند تناول الطعام.

وأيضًا: نهى رسول الله ﷺ عن النفخ في الطعام والشراب. ونهى ﷺ أن يقرن الرجل بين التمرتين جميعًا حتى يستأذن أصحابه.[3]

(١) شرح ديوان عنترة بن شداد، ص٢٠٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين: ٥٠٦١، صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما: ٢٠٢٢، صحيح سنن ابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب الأكل باليمين: ٢٦٦٢.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب القران في التمر بين الشركاء حتى يستأذن أصحابه: ٢٣٥٧، صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب نهي الأكل مع جماعة، عن قران تمرتين ونحوهما في لقمة، إلا بإذن أصحابه: ٢٠٤٥.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: "ما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قط، كان إذا اشتهى شيئًا أكله وإن كرهه تركه".(١) وهذا من أدب الرسول فيما يخص الطعام والشراب، فلم يعترض الرسول قط على أي طعام قُدّم له.

وقال ﷺ: "إذا وُضع الطعام فخذوا من حافته وذروا وسطه فإن البركة تنزل في وسطه".(٢)

وقال ﷺ: "كُفّ عنا جُشاءك".(٣)

ومما قاله العلماء فيما يخص آداب الطعام والشراب قول ابن الجوزي عن آداب المائدة: "ألا يفعل ما يستقذره منه غيره، فلا ينفض يده في القصعة، ولا يقدم إليها رأسه عند وضع اللقمة في فيه، وإذا خرج شيء من فيه ليرمي به صرف وجهه عن الطعام وأخذه بيساره، ولا يغمس بقية اللقمة التي أكل منها في المرقة".(٤)

وقال ابن الجوزي: "كان الشيخ تقي الدين رحمه الله إذا دعي أكل ما يكسر نهمته قبل ذهابه".(٥)

كما أنه من الأدب ألا يكثر الفرد النظر إلى وجوه الآكلين لأنه مما يحشمهم.(٦)

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب لا يعيب الطعام: ٢٠٦٤، سنن أبي داود، كتاب الأطعمة، باب في كراهية ذم الطعام: ٣٧٦٣.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، الألباني، كتاب الأطعمة، باب النهي عن الأكل من ذروة الثريد: ٢٦٦٨.

(٣) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ: ٢٤٧٨، صحيح سنن ابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع: ٢٧٢١.

(٤) الآداب الشرعية، ابن مفلح، ج٣، ص٢١٤.

(٥) الآداب الشرعية، ابن مفلح، ج٣، ص٢١٥.

(٦) انظر: الآداب الشرعية، ابن مفلح، ج٣، ص٢١٧

وقال الغزالي في الإحياء: "ولا يضيق المكان على الحاضرين بالزحمة، بل إن أشار إليه صاحب المكان بموضع لا يخالفه ألبتة فإنه قد يكون رتب في نفسه موضع كل واحد، فمخالفته تشوش عليه، ولا ينبغي أن يجلس في مقابلة باب الحجرة الذي للنساء وسترهم، ولا يكثر النظر إلى الموضع الذي يخرج منه الطعام فإنه دليل على الشره".(١)

فمن الضروري عند تناول الطعام ولا سيما إذا كان مع بشر آخرين تسمية الله أولاً قبل بدء الطعام، والأكل باليمين، والأكل مما يليه، وألا ينفخ في الطعام أو الشراب حتى يبرد، وألا يرفض طعامًا قُدم له، وألا يزعج الآخرين بأي فعل مرفوض كالجشاء في أثناء الطعام، وعدم الأكل من وسط الطعام. وهذه الأمور وصى بها الرسول ووصى بها العلماء من بعده وما اختلف عنها الإتيكيت الحديث كثيرًا.

فمما ذكره الإتيكيت من آداب تناول الطعام(٢):

- الأكل بسرعة متوسطة، وتجنب الأكل بسرعة أو ببطء لعدم مضايقة الجالسين معه.
- الأكل بهدوء والفم مغلق ومن دون الإتيان بحركات منفّرة.
- تجنب الضحك مع فتح الفم في أثناء وجود طعام به.
- عدم التحدث في أثناء امتلاء الفم بالطعام.
- تجنب النفخ في الأطعمة الساخنة.
- عدم تقطيع جزء جديد من الطعام إلا بعد الانتهاء من الطعام الموجود في الفم.
- تجنب إصدار تعليقات على الآخرين في أثناء تناولهم للطعام مثل الكميات التي تناولوها.

---

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي، كتاب آداب الأكل، ص ٤٤٧، ٤٤٨.

(٢) انظر: الإتيكيت وفن التعامل مع الآخرين، د/ نادية الحفني، ص٢٣٤.
the gentlemen's book of etiquette,p27,29,30

- في حالة التجشؤ يجب غلق الفم مع الاعتذار بعد ذلك للجالسين.
- تجنب تكدّس الطعام في الطبق.

والملاحظ على هذه الأمور أن الأدب الإسلامي قد سبق الإتيكيت إلى الحديث عنها، فلم يضف الإتيكيت الحديث جديدًا فيها. والكلام نفسه الذي ذكرته كتب الإتيكيت الأجنبية هو نفسه الذي ذكرته كتب الإتيكيت العربية لا فرق ولا اختلاف وكأنها كلها قد تأثرت بكلام الرسول ﷺ، على الرغم من أن كتب الإتيكيت الأجنبية قد لا تكون تأثرت بكلام الرسول لكن الكلام جاء مشابهًا لأحاديث الرسول.

ولم يختلف الإتيكيت عن الأدب الإسلامي في آداب الطعام إلا في الأمور التي جدت في العصر الحديث ولم تكن موجودة قديمًا، مثل كيفية تناول الطعام بالشوكة والسكين وغيرها من الأمور التي لم تكن موجودة من قبل.

وكما أن للطعام آدابًا فإن للشراب آدابًا أيضًا تكلم عنها الرسول في أحاديثه وأوضحها وفصّلها؛ فقد نهى رسول الله ﷺ عن الشرب من فم القربة أو السقاء، وأن يمنع جاره أن يغرز خشبه في داره.(١)

وقال ﷺ: "إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء، وإذا أتى الخلاء فلا يمس ذكره بيمينه، ولا يتمسح بيمينه".(٢)

وكذلك كانت هناك آداب **لدخول الخلاء**؛ منها قول الرسول ﷺ: "إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرّقوا أو غرّبوا".(٣)

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب الشرب من فم السقاء: ٥٣٠٤، صحيح مسلم: ١٦٠٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب النهي عن الاستنجاء باليمين: ١٥٢، ٥٣٠٧ صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب النهي عن الاستنجاء باليمين: ٢٦٧.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب الاستطابة: ٢٦٤، سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة: ٩.

والدخول بالرجل اليسرى والخروج بالرجل اليمنى.

وهذه أمور بالطبع لم يتكلم عنها الإتيكيت الحديث.

حتى اللبس لم يتركه الإسلام وكان له آداب فيه، ومن هذه الآداب: أن يلبس اليمين أولاً: "إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين، وإذا نزع فليبدأ بالشمال، لتكن اليمنى أولهما تنعل وآخرهما تنزع".(١)

وإذا نظرنا إلى أدب آخر من الآداب الإسلامية التي تناولها القرآن والحديث مسألة عدم السخرية من الآخرين، وفيها يقول الله تعالى في سورة الحجرات التي جاء فيها كثير من الآداب الإسلامية رغم قصرها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات/ ١١].

ل فالله تعالى ينهى عن السخرية من الناس، أي احتقارهم والاستهزاء بهم، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: "الكبر بطر الحق وغمص الناس"، والمراد من ذلك احتقارهم واستصغارهم، وهذا حرام فإنه قد يكون المهزوء منهم خيرًا من الهازئين، ولهذا قال تعالى: "يأيها الذين ءامنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرًا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن" فنص على نهي الرجال وعطف بنهي النساء.(٢) كما نهى تعالى عن اللمز والتنابز بالألقاب، وأمر باجتناب الظن ونهى عن التجسس والغيبة.

(١) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب ينزع نعله اليسرى: ٥٥١٧، سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في الانتعال: ٤١٣٩.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري، ج٢١، ص٣٦٤، تفسير القرآن العظيم، ج٧، ص٣٧٦.

وقال الرسول ﷺ: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانًا".(١)

كذلك من الآداب المهمة في التعامل مع البشر عدم التكبر على الناس، وخفض الصوت عند التكلم، وقد أخبر الله بذلك في قوله تعالى في سورة لقمان: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ. وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٨ – ١٩]، فهذه وصايا نافعة قد حكاها الله تعالى عن لقمان الحكيم، ليمتثلها الناس ويقتدوا بها. ويكفي أن الله تعالى قال إنه لا يحب كل مختال فخور، فمعنى أن الله لا يحب صفة معينة أنه لابد من الابتعاد تمامًا عن هذه الصفة وإلا ابتعدنا عن أهل محبته عز وجل.

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء/ ٣٧] فالله سبحانه وتعالى لم يكتف بالإخبار عن عدم محبته لهذا الأمر في سورة واحدة، بل تكرر هذا الأمر في سورة أخرى، وهذا التكرار ليس عبثًا، بل لتذكير الناس بما يجب عليهم أن يبتعدوا عنه. وإذا كان النهي في الآية الثانية للرسول ﷺ كما هو ظاهر، فبالتأكيد القصد منها ليس الرسول وحده، بل لعامة المسلمين.

وقال رسول الله ﷺ: "من جر ثوبه خيلاء، لم ينظر الله إليه يوم القيامة"،(٢) وقال: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر".(٣)

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يُنهى عن التحاسد والتدابر: ٥٧١٧، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش: ٢٥٦٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب من جر إزاره من غير خيلاء: ٥٤٤٧، سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار: ٤٠٨٥.

(٣) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب الزينة والتطيب، باب ذكر ما يستحب للمرء تحسين ثيابه وعمله إذا قصد به غير الدنيا: ٥٤٦٦.

وقال ﷺ: "من أحب أن يُمَثّلَ له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار".(١)

فهذه أحاديث كثيرة قد وردت في موضوع التكبر لابد من التمسك بها والاقتداء بالرسول في هذا الأمر، مع التواضع مع عامة الناس.

أمر مهم آخر نلحظ اهتمام القرآن به في سورة المجادلة إحدى سور القرآن الكريم التي اهتمت بالآداب وهو مسألة التفسح في المجالس، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة/ ١١] فقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يحسن بعضهم إلى بعض في المجالس (المجالس التي للطاعات)، وذلك أن الجزاء من جنس العمل.(٢)

ومما ورد للرسول ﷺ في هذا الأمر: "لا يقيم الرجل الرجل من مقعده ثم يجلس فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا".(٣) وهذا أمر مهم لم ينفرد به القرآن الكريم وحده أو الحديث وحده، بل ورد في كليهما.

وقال ﷺ في حديث آخر: "لا يقيمن أحدكم الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه".(٤)

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في قيام الرجل للرجل: ٥٢٢٩.

(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج٨، ص٢٣٥، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٨، ص٤٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه: ٢١٧٧.

(٤) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه: ٢١٧٧.

وقال ﷺ في حديث آخر: "لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه".(١)

وعن النبي ﷺ: "أنه نهى أن يقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر، ولكن تفسحوا وتوسعوا. وكان ابن عمر يكره أن يقوم الرجل من مجلسه ثم يجلس مكانه".(٢)

وقال ﷺ مخبرًا عن أحقية صاحب المجلس بمجلسه: "من قام من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به".(٣)

وقال الخلاَّل: "كراهية الجلوس في وسط الحلقة" أنبأنا أبو داود قال: رأيت أحمد بن حنبل إذا كان في الحلقة فجاء رجل فقعد خلفه، يتأخر، يعني يكره أن يكون وسط الحلقة لما جاء عن النبي ﷺ.

ويتوجه تحريم ذلك ولعله مراد الخلال؛ فإنه ﷺ: "لعن من جلس وسط الحلقة"،(٤) والسبب في ذلك: أنه إذا جلس في وسطها استدبر بعضَهم ظهره، فيؤذيهم بذلك ويسبونه ويلعنونه، ومنه الحديث أنه عليه السلام قال: "لا حمى إلا في ثلاث"، وذكر منها حلقة القوم: أي لهم أن يحموها حتى لا يتخطاهم أحد ولا يجلس وسطها.(٥)

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه: ٥٩١٤.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب "إذا قيل لكم تفسحوا في المجلس فافسحوا...": ٥٩١٥، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب الصحبة والمجالسة: ٥٨٦، ٥٨٧.
(٣) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب إذا قام من مجلسه ثم عاد فهو أحق به: ٢١٧٩.
(٤) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب الجلوس وسط الحلقة: ٤٨٢٦.
(٥) الآداب الشرعية، ابن مفلح، ج١، ص٤٣٠.

ولا يفرّق بين اثنين بغير إذنهما. قال رسول الله ﷺ: "لا يُجلس بين رجُلين إلا بإذنهما"، "لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما".(١)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ثلاثة لا أقدر على مكافأتهم، ورابع لا يكافئه عني إلا الله تعالى: فأما الذين لا أقدر على مكافأتهم: فرجل أوسع لي في مجلسه، ورجل سقاني على ظمأ، ورجل اغبرّت قدماه في الاختلاف إلى بابي...".(٢)

أما عن التحية واللقاء والسلام فقد ذكرها القرآن الكريم في موضع وذكرها الحديث في مواضع، ففي القرآن جاءت في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء/ ٨٦] واكتفى القرآن بذلك وهو رد التحية بأحسن منها، أما في الحديث فقد تكلم الرسول ﷺ في عدد من الأحاديث عن السلام والتحية واللقاء ومنها: "أن تكلم أخاك وأنت مُنبسِط إليه وجهُك "(٣)، كما قال ﷺ "تبسمك في وجه أخيك لك صدقة"(٤) و"إن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق".(٥)

و"إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه".(٦)

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الرجل يجلس بين الرجلين بغير إذنهما: ٤٨٤٤، ٤٨٤٥، السلسلة الصحيحة، الألباني: ٢٣٨٥.

(٢) الآداب الشرعية، ابن مفلح، ج١، ص٣٢٥، ٣٢٦.

(٣) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار: ٤٠٨٤، السلسلة الصحيحة، الألباني: ١١٠٩.

(٤) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في صنائع المعروف: ١٩٥٦، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، فصل من البر والإحسان: ٥٢٩.

(٥) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في طلاقة الوجه وحسن البشر: ١٩٧٠.

(٦) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الرجل يفارق الرجل ثم يلقاه أيسلم عليه: ٥٢٠٠، السلسلة الصحيحة، الألباني: ١٨٦.

و"إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام".[١]

و"لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق".[٢]

ولأن الإسلام دين السلام فكثيرًا ما وصى بإلقاء السلام حتى على من لم نعرفه، فقد سأل رجل رسول الله ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت، وعلى من لم تعرف"[٣]، فإلقاء السلام من خير الأعمال في الإسلام على الرغم من سهولته، وقد يعتقد بعض الناس أن الرسول كان سيخبر هذا الرجل بأن خير الإسلام الصلاة أو الصيام أو غير ذلك من العبادات المهمة، لكنه أخبره بأن خير الإسلام إطعام الطعام وإلقاء السلام.

وقال الرسول ﷺ في حديث آخر موضحًا أهمية السلام:"لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم"[٤] فالسلام ما هو إلا وسيلة لنشر المحبة بين البشر، لذا وصى به رسول الإسلام.

وقد قال الدكتور شوقي ضيف معلقًا على السلام اليومي: "وبهذه التحية اليومية – يقصد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته – كان الإسلام أول داع للسلام في الأرض منذ أربعة عشر قرنًا، وهو يكرَّر في كل صلاة، وجعله

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في فضل من بدأ بالسلام: ٥١٩٧، السلسلة الصحيحة، الألباني: ٣٣٨٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء: ٢٦٢٦، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، فصل من البر والإحسان: ٥٢٣

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب إفشاء السلام: ٥٨٨١.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان: ٥٤، سنن الترمذي، باب صفة القيامة والرقائق والورع: ٢٥١٠.

الله أحد أسمائه الحسنى تأكيدًا لهذه الدعوة، وسمى الجنة دار السلام حثًّا عليه".[١]

ومما ذكره الرسول أيضًا من آداب السلام: "يسلم الصغير على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير".[٢]

و"يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير".[٣]

وقال ﷺ: "إن المؤمن إذا لقي المؤمن فسلم عليه وأخذ بيده فصافحه تناثرت خطاياهما كما يتناثر ورق الشجر".[٤]

و"ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا".[٥]

وقال ﷺ: "تسليم الرجل بإصبع واحدة يشير بها فعل اليهود".[٦]

وكان النبي إذا تحدث إلى أحد أقبل عليه بوجهه.

وكما رأينا في بعض الآداب السابقة التي اشترك فيها الأدب الإسلامي مع الإتيكيت أن الاثنين متشابهان فيما قالا، فالأمر كذلك فيما يخص اللقاء والسلام والمصافحة، فما قاله الإتيكيت الحديث يشبه تمامًا ما قاله الأدب الإسلامي.

فمما قاله الأدب الإسلامي فيما يخص اللقاء والسلام والمصافحة

حضور ابتسامة مشرقة على الوجه

---

(١) الحضارة الإسلامية من القرآن والسنة، د/ شوقي ضيف، ص١٤١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب يسلم القليل على الكثير: ٥٨٧٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب يسلم الراكب على الماشي: ٥٨٧٨. صحيح مسلم، كتاب السلام، باب يسلم الراكب على الماشي والقليل على الكثير: ٢١٦٠.

(٤) السلسلة الصحيحة، الألباني: ١٦.

(٥) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في المصافحة: ٥٢١٢، سنن الترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في المصافحة: ٢٧٢٧.

(٦) السلسلة الصحيحة، الألباني: ١٧٨٣.

وجود اتصال بصري بين كلا الطرفين

التوجه بكامل الجسد لمن ستعرّف نفسك به

استخدام درجة صوت تسمح بحسن استماع الطرف الآخر للاسم

الترحيب ببضع كلمات تساعد على كسر حاجز اللقاء لأول مرة.(١)

وعن الطريقة السليمة للمصافحة قال الإتيكيت الحديث:

أن يكون كامل الجسد في مواجهة الشخص الذي ستصافحه

وجود ابتسامة على الوجه

النظر مباشرة في اتجاه من تصافح مع الحرص على التقاء نظرات العينين في أثناء عملية المصافحة بالأيدي، وليس إلى أي جهة أخرى، مع الانحناء قليلاً للأمام ومن دون تكلف.

لا تطول المدة الزمنية للسلام باليد عن ثلاث ثوان

وبغض النظر عن النقطتين الأخيرتين في الإتيكيت (وهما الانحناء، ولا تطول المدة) نجد أن ما قاله الإتيكيت الحديث متماثل مع الأدب الإسلامي، لكنهما اختلفا في مسألة الانحناء، فلم يقل به الإسلام(٢)، كما أننا وجدنا الرسول لم يترك يد المصافح له إلا عندما ينزع المصافح يده، وهذا الأمر قد يطول عن ثلاث ثوان، فالأمر يختلف عما قاله الإتيكيت.

وكما نهى الإسلام عن المصافحة بإصبع واحدة أو بأطراف الأصابع نهى عنها الإتيكيت الحديث كذلك. فالأمر مرفوض قديمًا وحديثًا.(٣)

وهناك اختلاف آخر بين الدين الإسلامي والإتيكيت؛ فأولهما يجعل من السنة السلام باليد بين الرجلين أو المرأتين، أما الآخر فيجعل سلام الرجل

---

(١) الإتيكيت وفن التعامل مع الآخرين، د/ نادية الحفني، ص٩٩.

(٢) فقد قال رجل: يا رسول الله: الرجل منا يلقى أخاه أو صديقه أينحني له؟ قال: لا، قال: أفيلتزمه ويقبله؟ قال: لا، قال: أفيأخذ بيده ويصافحه. قال: نعم. سنن الترمذي، كتاب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في المصافحة: ٢٧٢٨.

(٣) انظر: الإتيكيت وفن التعامل مع الآخرين، د/ نادية الحفني، ص١٠٣

على الرجل عندما يتعرف أحدهما إلى الآخر، لكن نادرًا ما تفعل السيدات ذلك عند تقديمهن إلى الرجال – أي لا يتصافحان – ولكن غالبًا ما تتصافح السيدتان معًا، ومن عادة الرجال النبلاء ألا يسلم الرجل على المرأة إلا بعد أن يخلع قفازه الأيمن.(١)

وهذا الأمر وهو مصافحة الرجل للمرأة طبعًا هو في عرف الغرب، لكن الأمر في الإسلام مختلف.

وكما تكلم الإسلام عن السلام والمصافحة وأوضح أهميتهما، تكلم أيضًا عن الاهتمام بالبشر في أثناء التعامل معهم، فقد علمنا أن الرسول ﷺ كان يهتم بمن يكلمه، وينظر إليه في أثناء حديثه وينصت إليه جيدًا، ولا يتكبر على أحد ممن يريدون سؤاله.

كذلك تكلم الإتيكيت الحديث عن مسألة الاهتمام بالآخرين، ومما قيل فيه: "إن أردت أن يحبك الآخرون، فاتبع هذه القاعدة المهمة: أظهر اهتمامًا بالناس". و"مبدأ مهم جدًّا في السلوك الإنساني، لو عملنا به فلن تكون هناك مشكلات أبدًا، هو: اجعل الشخص الآخر يشعر بأهميته".(٢)

وأيضًا مما قاله الإتيكيت الحديث عن ضرورة الاهتمام بالناس والتأثير فيهم في أثناء الحديث معهم(٣):

- ضرورة الاعتدال في الجلسة ووضع اليدين على الركبتين أو تلمسهما برفق فهذا يظهر الاهتمام.
- إمعان النظر إلى وجه الآخر.
- المصافحة بلطف.
- هدوء المشاعر.
- التوجه بكامل الجسد والنظر لمن يتحدث وجهًا لوجه لإظهار الاهتمام.

---

(1) Etiquette, Emily Post,p: 38

(٢) فن التعامل مع الناس، ديل كارنيجي، ص٥٤.

(٣) الإتيكيت وفن التعامل مع الآخرين، د/ نادية الحفني، ص ١٥٣.

- تلقّي حديث الآخرين بود وعطف للاستحواذ على ثقتهم وحبهم والتجرد من التوتر والانفعال.

ومما قيل أيضًا عن الاهتمام بالآخرين: "إذا أردت أن تستميل الناس إلى طريقة تفكيرك فاتبع هذه القاعدة: احترم آراء الشخص الآخر، ولا تقل لأحد إنه على خطأ".(١)

وهذا أمر يغفل عند كثيرون، فكثير من البشر يرون أن رأيهم فقط هو الصواب، ورأي غيرهم خطأ.

ومن ضمن الآداب الإسلامية المهمة جدًّا القول المعروف، وطبعًا تكلم القرآن عن هذا الأمر في أكثر من موضع؛ منها قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٦٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة/ ٨٣]، **وقوله تعالى:** ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء/ ٥٣]، **وقوله تعالى أيضًا:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾[الأحزاب/ ٧٠].

وورد الكلام عن هذا الأمر في الحديث أيضًا بالطبع، ومن الأحاديث التي قالها الرسول ﷺ: "الكلمة الطيبة صدقة".(٢)

ويتعلق بالقول المعروف أيضًا الرفق والرأفة في التعامل مع البشر، كما ورد في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران/ ١٥٩]

---

(١) فن التعامل مع الناس، ديل كارنيجي، ص٧٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب طيب الكلم: ٥٦٧٧، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف: ١٠٠٩، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب حسن الخلق: ٤٧٢.

كذلك قال تعالى موصيًا نبيه الكريم ﷺ في حال الدعوة إليه أن تكون بالحكمة وبالتي هي أحسن كما ورد في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل/ ١٢٥]. وهذا أمر يبدو في ظاهره أنه للرسول ﷺ فقط، لكنه ينطبق على كل داعية إلى الله ورسوله، بأن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة.

ولم يكن قوله تعالى: "وجادلهم بالتي هي أحسن" هو الأمر الوحيد في القرآن بحسن الجدال، بل هناك آيات أخرى حثت على ذلك منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت/ ٤٦].

كما جاء الأمر لموسى وهارون باللين في الكلام مع فرعون في قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه/ ٤٤]

وقد روى أبو محمد الخلال عن أسامة بن زيد مرفوعًا: "لا ينبغي لأحد أن يأمر بالمعروف حتى يكون فيه ثلاث خصال: عالِمًا بما يأمر، عالِمًا بما ينهى، رفيقًا فيما يأمر، رفيقًا فيما ينهى".(١)

وفي الأدب الإسلامي أمثلة كثيرة للذوق مع غير المسلمين من بينها قصة الرسول مع جرير بن عبد الله البجلي الذي جاء إلى مجلس رسول الله ﷺ بمسجد المدينة، ولم يكن قد أسلم بعد، فلم يجد مكانًا إذ كان المجلس مكتظًّا، فجلس على الباب. فرآه رسول الله ﷺ وكان يعلم أنه سيد في قومه فلف رداءه ... وأسلم جرير في ذلك اليوم. فقد دخل جرير بن عبد الله البجلي الإسلام من عتبة الذوق الإيماني الأنيق الرقيق، وبلمسة وضاءة باهرة من يد النبي ﷺ،

(١) الآداب الشرعية، ابن مفلح، ج١، ص٢١٣.

فظل طوال حياته حريصًا على صحبة الأدب والذوق في كل أقواله وأفعاله.(١)

وقال أبو رفاعة: انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب، قال فقلت يا رسول الله، رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه. قال: فأقبل علي رسول الله ﷺ وترك خطبته حتى انتهى إلي، فأتي بكرسي حسبت قوائمه حديدًا، قال: فقعد عليه رسول الله ﷺ، وجعل يعلمني مما علمه الله. ثم أتى خطبته فأتم آخرها.(٢)

كما وصى الله تعالى رسوله الكريم ﷺ بخفض الجناح والرأفة بالمؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء/ ٢١٥].

ووصى في التعامل مع البشر بعدم الغضب وكظم الغيظ كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران/ ١٣٤].

ومن الذوقيات التي أشار إليها القرآن والحديث معًا عدم المن، فقال القرآن: "ولا تمنن تستكثر"، وقال الحديث: "ثلاثة لا يكلمهم الله عز وجل يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: الْمُسبِل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب".(٣)

ومن الآداب التي أفاض فيها الحديث الشريف آداب الطريق، ومما قاله الرسول ﷺ: "إياكم والجلوس بالطرقات. فقالوا يا رسول الله ما لنا من

(١) الإسلام والذوق العام، فؤاد شاكر، ص٤٣.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب حديث التعليم في الخطبة: ٨٧٦، صحيح سنن النسائي، كتاب الزينة، باب الجلوس على الكراسي: ٥٣٩٢.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف: ١٠٦، سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار: ٤٠٨٧.

مجالسنا بد، نتحدث فيها. فقال: فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه"، قالوا وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".(١)

ومن آداب الطريق المهمة جدًّا إماطة الأذى عن الطريق، وورد فيه أكثر من حديث منها: "الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان".(٢)

وقال ﷺ أيضًا: "بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق، فأخره، فشكر الله له، فغفر له..."(٣)

ووصى الرسول بالبعد عن التكبر والمشي بتواضع، فقال ﷺ: "بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه، مُرَجِّل جُمَّتَه، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة".(٤)

ووصى بعدم مشي المرأة وسط الطريق، فقال ﷺ: "ليس للنساء وسط الطريق".(٥)

---

(١) البخاري، كتاب الاستئذان، باب "يأيها الذين ءامنوا لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتى تستأنسوا....": ٥٨٧٥. مسلم، كتاب السلام، باب من حق الجلوس على الطريق رد السلام: ٢١٢١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها: ٣٥، سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في رد الإرجاء: ٤٦٧٦، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب الإيمان، باب فرض الإيمان: ١٦٦، ١٩١.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان الشهداء: ١٩١٤، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، فصل من البر والإحسان: ٥٣٦.

(٤) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء: ٥٤٥٢، صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه: ٢٠٨٨.

(٥) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب الحظر والإباحة: ٥٦٠١، السلسلة الصحيحة، الألباني: ٨٥٦.

وإذا نظرنا إلى ما قاله الإتيكيت الحديث لوجدنا أن ما قاله عن آداب الطريق هو ما قاله الأدب الإسلامي، لكن الأدب الإسلامي زاد عليه كثيرًا، فقد تكلم الأدب الإسلامي عن ضرورة خفض الصوت في الشارع أو في أي مكان، وقال بذلك الإتيكيت أيضًا كما قال بعدم مناداة أي شخص بصوت عال في الطريق[١].

كما يرى الإتيكيت أن الصوت المنخفض دايمًا يكون ممتعًا بخلاف الصوت العالي الذي لا يسبب إلا الإزعاج[٢].

وتكلم الإتيكيت أيضًا عن أمور أخرى من آداب الطريق وهي أنه إذا كان هناك زحام وحشد من الناس فلا يجب على الفرد أن ينحي بوقاحة أولئك الذين يعوقون تقدمه، ولكن عليه أن يصبر حتى يتضح الطريق. وإذا كان متعجلاً فلا يحل هذا الإشكال إلا بضع كلمات مهذبة وهادئة، وستكون أفضل من أي صوت عالٍ. وفي حال اضطرار الفرد إلى عبور لوح خشبي أو مسار ضيق فعليه أن يدع السيدة المسنة أو العجوز أن تسبقه – هذا من الذوقيات بالطبع – وفي حال ما إذا كان الطريق زلقًا أو غير آمن بأي حال من الأحوال فعليه أن يعرض المساعدة للعجوز الموجودة إلى جواره. وعلى المرء ألا يدخن في الشارع إلا بعد حلول الظلام، وإذا قابل سيدة فعليه أن يتخلص من السيجار على الفور. كما يوصي الإتيكيت بالحذر في شأن اللبس، لأن المرء لا يمكنه أبدًا معرفة من سيقابله.[٣]

كما وصى الإتيكيت بضرورة تجنب لمس أي شخص، والحذر عند المشي مع أي سيدة أو بالقرب منها.[٤]

(1) Etiquette, Emily Post,p: 45.

(2) Etiquette, Emily Post,p: 77.

(3) The gentlemen’s book of etiquette. P:36

(4) The gentlemen’s book of etiquette. P:37

هذا ما ذكره الإتيكيت عن آداب الشارع، وبالنظر إلى ما قاله الأدب الإسلامي وما قاله الإتيكيت الحديث يتبين أن الأدب الإسلامي كان أعم وأشمل وأوسع مما قاله الإتيكيت رغم الفارق الزمني الكبير بينهما.

وهناك أدب آخر مهم ذكره الرسول ﷺ إلى جانب الآداب السابقة ألا وهو أدب الاهتمام بحقوق الناس، وهذا غير أدب الاهتمام بالناس الذي سبق الحديث عنه، فقال الرسول ﷺ: "من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله".(١) وهذا الحديث يبين مدى أهمية رد الحقوق إلى أصحابها، ولا سيما الأموال، لكن ليس الأموال بالطبع فقط، لكن هنا الحديث خص الأموال لأهميتها؛ فالمال والبنون زينة الحياة الدنيا.

وقال رسول الله ﷺ: "حق المسلم على المسلم خمس"، "خمس تجب للمسلم على أخيه: رد السلام، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، وعيادة المريض، واتباع الجنائز".(٢) وفي رواية أخرى: "حق المسلم على المسلم ست، قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: إذا لقيته فسلم عليه. وإذا دعاك فأجبه. وإذا استنصرك فاسمح له، وإذا عطس فحمد الله فسمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه".(٣) فهذه حقوق أو لنقل فروض فرضها الله على المسلم لإخوانه.

أيضًا من الآداب الإسلامية التي تكلمت عنها أحاديث الرسول ﷺ تحريم التجسس واتباع عورات الناس: فقال الرسول ﷺ: "من استمع إلى حديث قوم يفرون منه صُب في أذنيه الآنك"(٤) أي الرصاص المذاب. فهذا عذاب شديد وهو نتيجة لهذا الفعل الخطأ وهو التجسس، وإذا كان الجزاء من جنس العمل، وهذا الجزاء – كما يبدو – كبير وصعب فمعنى ذلك أن هذا العمل وهو التجسس كبير أيضًا ليناسب هذا الجزاء الكبير.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستقراض، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها: ٢٢٥٧.

(٢، ٣) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام: ٢١٦٢.

(٤) الأدب المفرد، البخاري، باب من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون: ١١٥٩.

وقال الرسول ﷺ عن اتباع عورات الناس: "إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم".(١)

ومن الأحاديث المهمة جدًّا في التعامل مع الآخرين قول الرسول ﷺ: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"(٢) فمعنى أن الرسول يذكر أن من يفعل ذلك يحسن إسلامه فهذا دليل على أهمية هذا الأمر وهو عدم التدخل في شئون الآخرين مما يسبب لهم الضيق.

وهذا بالطبع أدب يخص الإسلام وحده وهو الأدب في بيوت الله، فللمساجد حرمة وآداب لابد من اتباعها وعدم الغفلة عنها، وحدث أن بال أعرابي يومًا في المسجد وهذا بالطبع شيء أزعج الصحابة بشدة وكادوا يضربونه لولا أن الرسول ﷺ نهاهم عن ذلك.(٣)

وقال الرسول ﷺ من ضمن آداب المسجد: "إذا صلى أحدكم فلا يضع نعليه عن يمينه ولا عن يساره فتكون عن يمين غيره إلا أن لا يكون عن يساره أحد وليضعهما بين رجليه".(٤) وهذا للتأدب مع غيره من المصلين.

وقال ﷺ: "من أكل ثومًا أو بصلاً فليعتزلنا أو قال فليعتزل مسجدنا وليقعد في بيته".(٥)

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في النهي عن التجسس: ٤٨٨٨، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب الحظر والإباحة، باب الغيبة: ٥٧٦٠.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الزهد: ٢٣١٧، صحيح ابن حبان، كتاب الإيمان، باب ما جاء في صفات المؤمنين: ٢٢٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، باب قول النبي يسروا ولا تعسروا: ٥٦٧٩، ٥٧٧٧.

(٤) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب المصلي إذا خلع نعليه أين يضعهما: ٦٥٤.

(٥) صحيح البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب ما جاء في الثوم النيئ والبصل والكراث: ٨١٧، كتاب الأطعمة، باب ما يكره من الثوم والبقول: ٥١٣٧، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهي من أكل ثومًا أو بصلاً أو كراثًا أو نحوها: ٥٦٤، سنن أبي داود، كتاب الأطعمة، باب في أكل الثوم: ٣٨٢٢.

وقال ﷺ: "من أكل من هذه الشجرة – يعني الثوم – فلا يقربن مسجدنا"، وفي رواية أخرى: "من أكل من هذه الشجرة – يريد الثوم – فلا يغشانا في مساجدنا".(١)

كل هذه الآداب تكلم عنها الرسول ﷺ ولم يغفل عن أي شيء يتعلق بالمساجد.

ولم يغفل الأدب الإسلامي عن التعامل مع أي شخص سواء أكان غنيًّا أم فقيرًا، فكل إنسان له احترامه. ومن ضمن الأحاديث التي ذُكرت عن التعامل مع الفقراء قصة الرسول ﷺ مع زاهر الأشجعي الفقير الدميم "من يشتري هذا العبد".(٢)

وهذا الأمر لم يغفل عنه الإتيكيت الحديث بل اهتم به وتكلم عن مسألة الاهتمام بالفقراء ومراعاة مشاعرهم، فنرى ديل كارنيجي يقول عن اهتمام الشخص المهم بالناس حتى لو كانوا أقل منه كثيرًا: "السبب أنه كان وراء الشعبية الجارفة لثيودور روزفلت، فقد استطاع أن يجعل كل من حوله – حتى خدمه – يحبونه.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب صفة الصلاة، باب ما جاء في الثوم النيئ والبصل والكراث: ٨١٥، ٨١٦، صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب نهي من أكل ثومًا أو بصلاً أو كراثًا أو نحوها: ٥٦٤، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب الصلاة، باب المساجد: ١٦٤٤.

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب الحظر والإباحة، باب المزاح والضحك: ٥٧٩٠. نص الحديث: أن رجلا من أهل البادية يقال له زاهر بن حرام كان يهدي إلى النبي ﷺ الهدية فيجهزه رسول الله إذا أراد أن يخرج، فقال رسول الله ﷺ: "إن زاهرًا بادينا ونحن حاضروه"، قال فأتاه النبي وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه والرجل لا يبصره، فقال أرسلني، من هذا؟ فالتفت إليه فلما عرف أنه النبي ﷺ جعل يلزق ظهره بصدره، فقال رسول الله ﷺ: "من يشتري هذا العبد"، فقال زاهر: تجدني يا رسول الله كاسدًا، قال: لكنك عند الله لست بكاسد".

لدرجة أنه بعد تنحيه عن الرياسة، زار البيت الأبيض، وكان ذلك في عهد الرئيس تافت الذي كان وزوجته خارج البيت، فظهر حبه الصادق للبسطاء من العامة، حيث راح يحادث خدم البيت، ويناديهم بأسمائهم متلطفًا معهم ومداعبًا"[١] فهذا الأمر مهم جدًّا لأي شخص، ولا سيما إذا كان الشخص مشهورًا، لأنه يجعل من هم أقل منه يحبونه بشدة.

أما عن مسألة الهدوء والبعد عن الغضب فهناك أحاديث كثيرة وردت عن مسألة الغضب، ومحاولة البعد عنه، ومنها أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني، قال: "لا تغضب، فردد مرارًا، قال: لا تغضب".[٢]

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب".[٣]

وعن عبد الله بن عمرو قال: "قلت يا رسول الله ما يمنعني من غضب الله؟ قال: لا تغضب".[٤]

وقال ﷺ: "ما من جرعة أعظم أجرًا عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله عز وجل".[٥]

وقال ﷺ: "من كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة".[٦]

---

(١) فن التعامل مع الناس، ديل كارنيجي، ص ٤٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب: ٥٧٦٥، مجمع الزوائد، الأدب، باب ما جاء في الغضب وثواب من لم يغضب، ج ٨، ص٨٣، حديث: ١٢٩٨٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب: ٥٧٦٣، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب: ٢٦٠٩.

(٤) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ٢٩٦.

(٥) صحيح سنن ابن ماجه، الألباني، كتاب الزهد، باب الحلم: ٣٣٩٦.

(٦) السلسلة الصحيحة، الألباني: ٩٠٦.

"من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله – عز وجل– على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره الله من الحور ما شاء".(١)

وعن هذا الأمر تكلم الإتيكيت الحديث، فقال ديل كارنيجي: "إذا رغبت أن تكسب الناس إلى وجهة نظرك فاتبع تلك القاعدة: توسل بالرفق واللين واترك الغضب والعنف".(٢)

ولأن الإسلام لم يترك صغيرة ولا كبيرة تمس حياة البشر إلا وتكلم فيها، فقد وُجد أن الرسول تكلم عن مسألة ظهور الوباء، وماذا علينا أن نفعل مع هذا الوباء وكيف نتعامل معه. صحيح أن الأوبئة تختلف على مدار الزمن، لكن التعامل معها يكون واحدًا.

فقد أخبرنا الرسول بأن الوباء إذا ظهر بأرض قوم فعلى من في هذه الأرض ألا يخرجوا منها، وإذا ظهر بأرض أخرى فعلينا ألا نذهب إليها. كل ذلك بالطبع للحفاظ على النفس. فقال ﷺ عن مرض الطاعون: "كان عذابًا يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، ما من عبد يكون في بلد يكون فيه، ويمكث فيه لا يخرج من البلد، صابرًا محتسبًا، يعلم أنه لا يصيبه إلا ماكتب الله له، إلا كان له مثل أجر شهيد".(٣)

وهذا الأمر كان لابد أن يطبق مع وباء كورونا منذ بداية ظهوره.

أما عن الإتيكيت الحديث في التعامل مع كورونا فكان بأن:

نرتدي الكمامة عند الخروج من البيت

عدم التزاحم في الأماكن المغلقة

ترك مسافة كافية بين كل شخص وآخر

كل ذلك جيد، لكن لو كان العالم امتثل لكلام الرسول من البداية لما انتشر هذا الوباء بسرعة شديدة.

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب من كظم غيظًا: ٤٧٧٧.

(٢) فن التعامل مع الناس، ديل كارنيجي، ص٨٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب القدر، باب "قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا": ٦٢٤٥.

وقد زاد الوباء في بعض الدول نتيجة كثرة الانتقال بينهم وبين البلاد الأخرى عن طريق وسائل المواصلات المختلفة. واستطاعت بعض الدول الحفاظ على شعبها بقطع الاتصال بمن هم خارج هذا البلد فنجوا جميعًا باتباعهم وصية الرسول حتى لو لم يكونوا يعرفونها منه ﷺ.

الأدب في التعامل مع الحيوان

ولم يكن الإنسان وحده هو مدار اهتمام الإسلام، بل وجدنا اهتمام الإسلام بالحيوان كذلك، فقد نالت الحيوانات قسطًا من حديث الرسول ﷺ واهتم بها وبالرأفة بها اهتمامًا بالغًا، فمما قاله ﷺ: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته".(١)

ويأتي من يدّعون الرفق بالحيوان ويقولون إن الدين الإسلامي ليس فيه رحمة بالحيوانات، فلماذا تذبح الحيوانات مع إمكان قتلها أو صعقها بالكهرباء مثلاً، وذلك أخف من الذبح المؤلم بالنسبة لها.

ولم يعرفوا فوائد الذبح من الناحية الطبية على الحيوان وفوائد ذلك عندما يتناوله الإنسان، كما أن الصعق والقتل ليسا بأقل ألَمًا من الذبح.

وفي حديث آخر يوضح ﷺ أهمية الرفق بالحيوان: "بينما رجل يمشي بطريق، اشتد عليه العطش فوجد بئرًا فنزل فيها، فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي..."(٢)

(١) صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل: ١٩٥٥، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، كتاب الذبائح، باب ذكر الأمر بحد الشفار والإحسان في الذبح لمن أراده: ٥٨٨٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم: ٥٦٦٣.

وقال ﷺ موضحا أهمية الرفق: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه".(١)

وهذا الحديث يوضح لنا مدى أهمية الرفق بالحيوان والطير، فعن عبد الله بن مسعود قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حمَّرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة، فجعلت تُفَرِّش، فجاء النبي ﷺ فقال: من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها"، ورأى قرية نمل قد حرّقناها، فقال: من حرق هذه؟ قلنا: نحن، قال: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار".(٢)

ونهى ﷺ أن تتخذ الدواب كراسي، ونهى أيضًا عن وثم البعير.(٣)

والملاحظ من كل ما سبق أنه قد يكون الكلام في أحاديث الرسول ﷺ عن الأدب في التعامل مع الناس جاء أكثر من الكلام عن أدب التعامل مع الله تعالى أو معه ﷺ، وفي هذا دلالة بالتأكيد على أهمية التعامل مع الناس بالحسنى.

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق: ٢٥٩٤.
(٢) صحيح سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في قتل الذر: ٥٢٦٨.
(٣) السلسلة الصحيحة، الألباني: ٢١.

النتائج

- الأدب الإسلامي لا يتغير مهما تغير المكان الذي يُطبق فيه بعكس الإتيكيت الذي قد يختلف من بلد لآخر نظرًا لاختلاف العادات والدين.
- ورد الكلام عن الأدب في التعامل مع البشر أكثر من الكلام عن الأدب في التعامل مع الله ورسوله، وهذا دلالة على أهمية الأدب في التعامل مع البشر.
- إمكان الجمع بين الأدب الديني والإتيكيت فيما يمكن الجمع فيه بينهما.
- لما كان الإتيكيت يمكن أن يكسر لمخالفته الدين، لماذا إذن لا نأخذ الإتيكيت من ديننا الإسلامي.
- على الرغم من أن الآداب الموجودة في الرسالات السماوية كانت هي الأسبق للإتيكيت في العصر الحديث، فجاءت تلك الآداب شاملة لما في الإتيكيت وأكثر، رغم أنه يقال إن الفكرة تبدأ بسيطة ثم تتطور، لكن ذلك لم يحدث مع الإتيكيت.
- اتساع الدين الإسلامي عن الإتيكيت ومناسبته لكل زمان ومكان (الإسلام أشمل زمانًا ومكانًا وحالاً).
- لم يتفق الأدب الإسلامي مع الإتيكيت في كل شيء، فهناك اختلافات بينهما.
- ما زال الإتيكيت يتجدد كل فترة وتظهر فيه كتب حديثة تطورت فيها الأمور عما قبلها من كتب وعصور، أما الأدب الإسلامي فقد انتهى مع وفاة الرسول ﷺ، وتكلم عنه بكل وضوح القرآن والحديث الشريف ولم يعد يحتاج أي إنسان إلى الزيادة عليهما.
- هناك آداب جديدة تناولها الإتيكيت الحديث لم تكن موجودة قديمًا مثل آداب المائدة، فهذه يمكن أخذها من الإتيكيت الحديث.

المصادر والمراجع

- أحمد الجلاد، (دكتور)، دبلوماسية الإتيكيت والمراسم في العمل السياحي، عالم الكتب، دط، دت.
- الألباني، محمد ناصر الدين:
  - صحيح سنن ابن ماجه، مكتبة المعارف/ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.
  - سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف/ الرياض، دط، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ):
  - صحيح البخاري، ضبطه: الدكتور مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، دط، دت.
  - الأدب المفرد، الجامع للآداب النبوية، تخريج وتعليق/ محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرَة (ت٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف/ الرياض، الطبعة الأولى، دت.
- ابن حبّان، أبو حاتم محمد بن حبان البستي (ت٣٥٤هـ)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت٧٣٩هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة/ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

- أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، محمد بن يوسف، البحر المحيط، دراسة وتحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الجزء الثامن، دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، دط، دت.
- شوقي ضيف، (دكتور)، الحضارة الإسلامية من القرآن والسنة، دار المعارف/ القاهرة، دط، دت.
- صفوت محمد العالم، (دكتور)، آداب المراسم والبروتوكول وفنون الإتيكيت، دار المعارف، دط، ٢٠١٧م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الجزء السابع عشر، والواحد والعشرون، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
- عبد الفتاح أبو غدة، من أدب الإسلام، جمعية آل البيت للتراث والعلوم الشرعية – فلسطين، ٢٠٠٧.
- عبد الله بن حمود البوسعيدي، فنون الذوقيات والإتيكيت الإسلامي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت.
- الخطيب التبريزي، شرح ديوان عنترة بن شداد، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه/ مجيد طراد، دار الكتاب العربي/ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، (ت ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، دار ابن حزم/ بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

- فؤاد شاكر، الإسلام والذوق العام، أوراق شرعية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت ٧٥١هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، الجزء الثاني، تحقيق وتعليق/ محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة السابعة، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
- الكتاب المقدّس، دار الكتاب المقدس، القاهرة، الطبعة الرابعة، ٢٠١٣م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق/ سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، عيسى البابي الحلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.
- ابن مفلح، عبد الله محمد بن مفلح المقدسي (ت ٧٦٣هـ)، الآداب الشرعية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة/ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم (ت ٧١١هـ)، معجم لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، دت.
- نادية الحفني (دكتورة)، دعاء حبيب، الإتيكيت وفن التعامل مع الآخرين، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، الطبعة السادسة، ٢٠١٨م.

الكتب الأجنبية:

- the gentlemen's book of etiquette, By: CECIL B.HARTLEY, BOSTON, 1879.
- Etiquette, Emily Post, 1922.

الكتب المترجمة:

- ديل كارنيجي، فن التعامل مع الناس، مكتبة جزيرة الورد/ القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

المجلات:

- د/ منهل يحيى إسماعيل، الآداب الاجتماعية في سورة النور – دراسة موضوعية، مجلة كلية العلوم الإسلامية العدد الثالث عشر، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.